

عيد الديمقراطية

- بقلم غسان تويني صاحب « النهار »

« ... وبالروح الجديدة ، روح الحرص على تنظيم العلاقات في المجتمع ، تنظيماً عصرياً تسعى الدولة من خلال معالجتها للمشكلة الاجتماعية ، لتعزيز الاعتقاد الذي هو اعتقاد أصيل عند اللبنانيين ، بأنه ممكن لبلد يريد اللحاق السريع بركب التقدم العالمي ، ان يحقق ذلك في ظل الديمقراطية . ولعل أكرم ما في الديمقراطية ، بالإضافة الى كونها صورة للشعب ، وحمى لحقوقه وحرياته ، انها النظام الذي يضع مصيره في يده ، فيمكنه من بناء الحياة الحرة الراقية الشريفة ، كما تطمح نفسه الطيبة ، ويقوى جهده الخاص . وقد رأينا بأي عفوية واعية وحماسة مصممة ، هب الشعب متضافراً مع قواته المسلحة الباسلة ، ذات المناقب الوطنية الرفيعة ، للقضاء على تلك التجربة الضالة التي كانت احدى غاياتها المظلمة ، سلب نظامه السياسي ، النظام الديمقراطي الذي لا يرضى عنه بديلاً . »

(من رسالة الرئيس شهاب الى اللبنانيين)

« ... وان تجربة الضلال التي كان من عواقبها ، لولا منعة هذا الجيش ، ان تهدم هذه المؤسسة العزيزة ، وتمزق صفوفها ،

قد اثبتت انكم أهمل لا لصيانة الجيش فحسب بل لصيانة
الركائز الأساسية التي يقوم عليها كيان لبنان .
(من كلمة الرئيس شهاب في نادي الضابط)

في هذه الكلمات ، دون سواها ، مغزى العيد ، هذه السنة ،
المغزى كل المغزى ...

اذ كيف تكون الأعياد حية ، وكيف يكون ما ترمز اليه
الأعياد حياة ، بل كيف تكون حية الأمم التي تحتفل بعيد
استقلالها ، اذا كان الاحتفال صنو الاحتفال ، تعقب الذكرى
الذكرى ، فتبهت مع مر السنين كما تبهت ملامح الأموات ، مها
كانت ذكراهم عزيزة !

او نظلم استقلالنا اذ قلنا انه ، شأن الأحياء ، أصبح اليوم
غير ما كان بالأمس ، وهو غداً صائر الى ما ليس هو الآن بعد ؟
من هذه الزاوية ، زاوية الحياة المتطورة المتكاثرة اختباراتهما ،
المتكاثفة حكمتها ، نظر فؤاد شهاب الى العيد وإلى الاستقلال .

ومن هذه الزاوية بالذات ننظر ، فنقول - ولو ساء القول
محترفي الأعياد المهملين دائماً المكبترين أبداً - ان أهم ما في العيد ،
هذه المرة ، كوننا نحتفل بالعيد ، وإن الاستقلال ما كان مرة
أعز من هذه المرة لأنه لا يزال استقلالاً ، وحرية ، وان معناه
ما كان مرة اوضح منه هذه المرة لأننا نحتفل به في ظل النظام
الذي كسب لنا معركته الأولى ...

أو ليس هذا ما يعنيه الرئيس شهاب عندما يتحدث عن

لغلبنا على « تجربة الضلال » ؟

أو ليس أسوا ما في تلك التجربة ، وأشد ما فيها ضلالاً ،
كونها ظنت أن غير الديمقراطية تصلح للبنان نظاماً ، وأن
لقدّم لبنان ، وحياة لبنان ، ووحدة لبنان ، وإيمان المواطن
بلبنانيته ، ليست كلها رهناً بأن يحكم الشعب اللبناني نفسه ،
ويحس احساساً عميقاً بانسه ، كشعب ، صاحب السيادة على
نفسه يقرر مصيره بنفسه ؟

وبعد ، أعمق ما أخذ يمكن أن يؤخذ على الديمقراطية
تاريخياً كونها لا تشبع نفسية الشعوب الجائعة الى البطولات ولا
تجواب مع توق الشعوب الى تحقيق الأمور العظيمة .

فلنقل اذا ما كان يجب ان يقوله سوانا : ان استقلال لبنان
كان وليد بطولة ديموقراطية ، بطولة الحياة التي كانت تمثل ، ولا
جيش يحميها بعد ، سيادة شعب كان أعزل ولم يتردد في المقاومة
دفاعاً عن قدسية الدستور !

في خضم جنون البطولات من حولنا ، يطيب للبنانيين أن
يكون الحكم عندهم ، دون سواهم ، قد تغلب على مركبات
العظمة ، وأن يكون رئيس الجمهورية قائد الجيش قد كرس لا
دور الجيش في صيانة المؤسسات الدستورية وحسب ، بل وطاقة
هذه المؤسسات على بناء الدولة التي تحقق للبنانيين غايتهم في
الحياة الفضلى التي يريدون توسل الاستقلال في سبيلها !